د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

اولاً: المقاومة العربية للتسلط البويهي

أ- الحمدانيون ومقاومة النفوذ البويهي

ـ ظهور الأمارة الحمدانية

ترجع الاسرة الحمدانية في نسبها الى بطن من بطون تغلب بن وائل من العرب العدنانية، برز دورهم منذ خلافة المعتضد بالله(279-289هـ/ 892-902م)، وسيطروا على قلعة ماردين – تقع الان في جمهورية تركيا – لكن قوة الخليفة المعتضد بالله منعتهم من الظهور بشكل علني، فقاد هذا الخليفة جيشاً وتوجه به صوب مقرهم ماردين ، وسخرهم لخدمة الدولة العباسية بحيث قضت هذهِ الاسرة على احد اكبر زعماء الخوارج في عهده، ولكن ضعف الخلفاء الذين جاءوا من بعده وتعرضت الخلافة العباسية الى هزات كبيرة، فسح المجال امام الحمدانيين للظهور من جديد على الساحة السياسية، وبخاصة ابان عصر امرة الامراء(320-334هـ/ 932-945م)، وقد لعبت هذهِ الامارة دورا مهما في التصدي للبيزنطيين.

بعد ان سيطرة البويهيين على منطقة الاحواز كما مر بنا سابقا، تطلع البويهيين للسيطرة على العراق وكان في منطقة ولاية البصرة اسرة تحكم هذه المنطقة عرفت بالأسرة البريدية التي لم تكن مخلصة للخلافة العباسية ولا لأهل ولاية البصرة التي كانت سبباً في وجودها وثرائها، بل حاولت هذهِ الاسرة اكثر من مرة التطلع للسيطرة على مدينة واسط ومن ثم التوجه الى بغداد كما نتذكر انها كانت وراء سيطرة البويهيين على الاحواز، عندما هرب البريدي الى البويهيين بعد هزيمته في احدى المعارك سهل البريدي للبويهيين السيطرة على العراق اكثر من مرة .

بعد احتلال البويهيين على للأحواز تطلعوا للسيطرة على العراق، وقادوا عدة جيوش لهذا الغرض، وقد فشل امير الامراء ابن رائق في التصدي للخطر البويهي، فتحرك ناصر الدولة الحمداني الى

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

بغداد بقوته وشغل منصب امير الامراء سنة 330هـ/ 941م، وعندما علم البريدي بتولي ناصر الدولة لمنصب امير الامراء، لم يرق له هذا التغيير وبخاصة انه حليف البويهيين، فسار البريدي يريد السيطرة على بغداد، فتصدى له ناصر الدولة واشتبك معه في معركة الكيل – قرب المدائن الحالية– كتب فيها النصر للحمدانيين، حيث انسحب البريديون الى البصرة، ولأجل استثمار الفوز والنصر سار ناصر الدولة الحمداني نحو مدينة واسط، وقام بتحكيم مواقع المدينة العسكرية، وعين اخاه علياً بن عبد الله الملقب ب سيف الدولة، وامره بالاستعداد لاسترداد البصرة، فأخذ يعد العدة للهجوم على البصرة واستعادتها من يد البريديين، لكن انحياز قسم كبير من الجند الحمداني المؤلف من الديلم الى البريديين اضعف الجيش الحمداني، فضلا عن اختلال الوضع في بغداد والذي أدى بالنتيجة الى اضعاف موقف الحمدانيين في بغداد فآثروا الانسحاب الى الموصل وترك الوضع متأزماً في بغداد وذلك بتولي توزون منصب امرة الامراء سنة 331هـ/942م.

لم يحل تولي توزون لمنصب امرة الامراء المشاكل في بغداد وبخاصة الازمة المالية ومن ثم عدم استطاعة الدولة دفع رواتب الجند، ولم يستطع توزون من القيام بالموازنة بين الواردات والنفقات فضلا عن حل الصراعات المستحكمة بين قادة الجند، فكل منهم كان يريد ان يمسك بزمام الامور بيده دون غيره، غير ان جهوده تبوء بالفشل وهكذا كلما جاء امير يريد ان تكون الكلمة هي كلمته وقام بمصادرة الامير الذي كان قبله، فاضطر الخليفة المقتفي لله الى مغادرة بغداد حرصاً على حياته لحين انجلاء الموقف. ولما لم يكن مع الخليفة قوة عسكرية قوية تسنده طلب العون والمساعدة من الحمدانيين الذين اسرعوا للاستجابة لطلب الخليفة، واستقبلته القوات الحمدانية في تكريت، ورافقته الى الموصل سنة 332هـ/ 934م ، الا ان توزون امير الامراء لاحق القوات الحمدانية الى الموصل وخسرت الامارة الحمدانية ولاية الموصل جراء هذا النزاع ويعود السبب في مطاردة توزون للقوات الحمدانية وللخليفة الى فقدانه السند الشرعي في حكم البلاد وهو مغادرة الخليفة لبغداد لكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، فتخلخل الاوضاع في بغداد اجبرت أمير الامراء توزون التركي على عقد اتفاق مع الحمدانيين عادت بموجبه الموصل اليهم،

مقابل جزية سنوية يدفعها الحمدانيون لتوزون بوصفه امير الامراء مقدارها 000، 3،600 درهم سنويا فعاد توزون الى بغداد، اما الخليفة فقد فضل البقاء في الرقة السورية لحين انجلاء الموقف.

ـ موقف الحمدانيون من التسلط البويهي ـ

بعد ان سيطرة البويهيين على بغداد عام 334هـ/945م، اصبحت املاك الحمدانيين في الموصل وبلاد الشام تابعة بشكل غير مباشر للبويهيين الذين احتلوا العراق، فكان يتوجب على الحمدانيين ارسال الاموال المقررة عليهم الى بغداد حيث الحاكم البويهي صاحب السلطان المطلق، ولم يعترف الحمدانيين بهذا الاحتلال الاجنبي لعاصمة الخلافة فرفضوا الامتثال لأوامر الحاكم البويهي وهو ارسال الاموال الى بغداد فتسبب هذا القرار بقيام حرب بين الحمدانيين والبويهيين في سنة 334هـ/945م .

توجهت القوات الحمدانية الى بغداد وعسكرت في منطقة عكبرا في شعبان من سنة 334هـ/945م، وذلك لمنع القوات البويهية من التوجه الى الموصل في حين عسكرت القوات البويهية بقيادة ينال كوشة وموسى فياذة في منطقة عكبرا ايضا، لكن الاختلاف كان يسود قادة الجيش البويهي، فوقع ينال كوشة وابن البارد بـ موسى فياذة ونهبا امواله والتحقا بالجيش الحمداني، ويبدوا ان هذا الاختلاف قد دبره ناصر الدولة الحمداني، واثناء هذه المستجدات اختفى ابو جعفر بن شيرزاد امير الامراء السابق الذي كان يتولى امرة الامراء عند دخول البويهيين مدينة بغداد، ونتيجة لرجحان كفة ناصر الدولة الحمداني فقد هاجم مواقع الجيش البويهي في منطقة عكبرا، فأسرع معز الدولة البويهي باصطحاب الخليفة المطيع لله، لكي يكتسب موقفه الصفة الشرعية واثناء هذه الاوضاع ظهر ابو جعفر بن شيرزاد في بغداد وكان قد جند قسما من سكانها لصالحه فالتحق بناصر الدولة الحمداني، الذي امده بقوة عسكرية حمدانية، ثم رجع ابن شيرزاد الى بغداد الغربية لينضم الى الجيش الحمداني الموجود فيها بقيادة ابي العطاف جبير بن

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

عبد الله بن حمدان – حيث تسلل هذا القائد مع قسم كبير من الجيش الحمداني الى مدينة بغداد واخذ ابن شيرزاد يدير بغداد نيابة عن ناصر الدولة الحمداني، وقد رحب سكان بغداد بهذا الاجراء على أمل التخلص من الوجود البويهي فيها، كما تحرج موقف البويهيين في بغداد نتيجة لهذا التطور والنجاح الذي حققه ناصر الدولة، اذ اصبحوا بين قوتين حمدانيتين الاولى في عكبرا والثانية في بغداد، ثم سار ناصر الدولة الى بغداد ودخلها في رمضان من السنة نفسها، وعندما علم معز الدولة بهذه النجاحات تحرك بجيشه صوب مدينة سامراء وتكريت واوقع بهما الدمار لانهما من املاك الحمدانيين ثم تحرك صوب بغداد فدخل في الجانب الغربي ولما علم ناصر الدولة بالأمر غادر الجانب الغربي وعسكر في الشماسية فاصبح الجانب الشرقي من بغداد بيد القوات الحمدانية والجانب الغربي بيد البويهيين وجرت معركة نهرية عرفت بموقعة نهر دجلة، تكبد البويهيين فيها الخسائر الفادحة واغرقوا اغلب السفن البويهية واستولوا على معدات مهمة من الجيش البويهي.

وفي بداية شوال من السنة نفسها اعد ناصر الدولة خطة عسكرية لاختراق تحصينات البويهيين في الجانب الغربي من بغداد لكن خيانة الجند الديلمي في معسكر ناصر الدولة قلب الكفة لصالح البويهيين على الرغم من محاولة ناصر الدولة تحقيق النصر حيث اعد قوة من الف مقاتل اشتبكت مع الجيش البويهي. كما شدد ناصر الدولة الحمداني الحصار على بغداد لمنع الميرة والعلف من الوصول الى الجيش البويهي وتمت مراقبة المعابر بين الجانبين من قبل ابن شيرزاد، حتى فكر معز الدولة بمغادرة بغداد والعودة الى الاحواز، لكن قائد الجيش البويهي المدعو أصفهد وست والوزير ابا جعفر الصيمري اعدا خطة باغتت الجيش الحمداني وذلك بالعبور الى الضفة الشرقية لنهر دجلة فسيطروا على الجانب الشرقي من بغداد فأضطر ناصر الدولة الى الانسحاب الى منطقة عكبرا حيث تبعهم كثير من الناس خوفا من انتقام البويهيين منهم لانهم ساندوا ناصر الدولة في حربه ضدهم وقد قتل قسم منهم من قبل القوات البويهية وظل الامر متوترا الى سنة 335هـ/ 946م ، حيث تم عقد صلح بين الطرفين تكون بموجبها الموصل

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

وبلاد الشام ومصر للحمدانيين على ان يرسل ناصر الدولة الميرة والعلف الى بغداد مع دفع مبلغ من المال سنويا الى البويهيين في بغداد، وقد وصف ابن الجوزي الحالة بعد هذهِ الهزيمة فقال:(انهزمنا يومئذ مع ناصر الدولة الحمداني، من بين يدي معز الدولة البويهي ... فرأيت ما لا احصي من اهل بغداد قد تلفوا بالحر والعطش ونحن نركض هاربين فما شبهته الا بيوم القيامة) و(خاف الناس السيف فهربوا على وجوههم وكانت العذراء والمخباءة المترفة والصبية والاطفال والعجائز وسائر الناس يخرجون على وجوههم يريدون الصحراء وكان ذلك اليوم حارا فلا يطيقون المشي) .

وبعد رجوع معز الدولة الى بغداد ارسل جيشا الى البصرة فاستعادها من يد ابي القاسم البريدي ثم شعر معز الدولة بقوته بعد هذا الانتصار فكتب كتابا على لسان الخليفة المطيع لله وارسله الى ناصر الدولة يأمره فيه بأرسال الاموال المتفق عليها الى بغداد، وقد ارسل ناصر الدولة المال المقرر الى بغداد سنة 336هـ/947م، تدفعه اسباب داخلية وخارجية فظهور القرامطة في حلب وحركة جمان في الرحبة، فضلا عن انشغال قسم من جيش ناصر الدولة في مهمة جهادية على الحدود مع الدولة البيزنطية .

لكن الحال تغيرت في سنة 337هـ/ 948م ، فامتنع ناصر الدولة من ارسال المال الى بغداد وتكررت هذه الحالة اكثر من ثلاث مرات فضلا عن حدوث اشتباكات بين الطرفين وحدوث كر وفر بين الطرفين واخلاء الموصل واحتلالها من قبل الجيش البويهي حيث تم عقد صلح بين الطرفين بعد ان اضطر معز الدولة البويهي الى الذهاب الى جرجان لدعم احد افراد اسرته ونص الصلح على مايأتي: انسحاب البويهيين من الموصل، يدفع ناصر الدولة للبويهيين سنويا مبلغ 8000،000 درهم، ان تقام الخطبة للبويهيين في الموصل وبقية املاك الحمدانيين، ان يقدم ناصر الدولة ولديه رهائن عند البويهيين وهما الفضل والحسين، وكاد ناصر الدولة في احد المرات ان يحرر العراق من البويهيين اثناء تمرد روزبهان بن ونداد يساعده في ذلك اخويه بيلكا

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

في شيراز واسفار في الاحواز، حيث تأكد ناصر الدولة ان الدائرة ستكون على معز الدولة البويهي، وذلك للاسباب التالية: استياء الجند الديلمي من سياسة معز الدولة وانحيازهم الى روزبهان وسوء اوضاعهم المالية بسبب عدم صرف رواتبهم ، يأس جيش معز الدولة من الانتصار على روزبهان لكن سرعة القضاء على حركة روزبهان ، فضلا عن اجراءات معز الدولة للتصدي للحمدانيين، افشلت خطة ناصر الدولة لتحرير العراق وطرد البويهيين منه، وتكررت محاولات البويهيين للسيطرة على الدولة الحمدانية في سنة 347هـ/958م، وفي سنة 353هـ/ 964م، تم عقد اتفاق اخر بين ابي تغلب بن ناصر الدولة وبين معز الدولة البويهي، وهو اتفاق لا يختلف عن الاتفاقيات السابقة سوى انه اقر بولاية ابي تغلب بن ناصر الدولة على الموصل وحلب وانتهاء ولاية ناصر الدولة فعليا، وقد توفي معز الدولة البويهي في سنة 356هـ/966م، بعد ان عهد لابنه عز الدولة بختيار بالأمر من بعده.

ــ علاقة ابو تغلب الحمداني بالبويهيين ـ

كانت العلاقة ودية بين عز الدولة بختيار وبين ابي تغلب الحمداني، حيث كان من ضمن بنود الاتفاق الموقع بين الطرفين هو زواج ابي تغلب من ابنة عز الدولة بختياري على صداق قدره مائة الف دينار مع ضمان الاراضي الواقعة تحت سيطرته بمبلغ من المال متفق عليهِ لكن تجدد الازمة المالية المستعصية في بغداد المتمثلة بعدم القدرة على دفع رواتب الجند والموظفين، اجبر عز الدولة بختيار على نقض الاتفاق ولو ان البويهيين كانوا قادرين على اختلاف الاعذار للهجوم على الحمدانيين، فقاد عز الدولة بختيار جيشا توجه به صوب الموصل في سنة 363هـ/974م، فغادرها ابو تغلب الى منطقة الجزيرة ليلتف من ورائه ويصل الى بغداد حيث سيطر عليها ، وعندما علم عز الدولة بختيار بهذا التطور ارسل على جناح السرعة وزيره ابن بقية مع قسم كبير من الجيش البويهي لمنع الحمدانيين من السيطرة على بغداد، كما ارسل جيشا

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

اخر بقيادة القائد سبكتكين لمجابهة ابي تغلب ومنعه من تنفيذ هدفه . ويبدوا ان القائد سبكتكين لم يكن ينوي الحرب ، وربما كان لبعد عز الدولة عنه ولكون قسم كبير من الجيش معه أو كان ينوي القيام انقلاب ضد عز الدولة بختيار ثم يعلن سبكتكين ثورته ضد عز الدولة بختيار ويتكفل ابو تغلب بمحاربة عز الدولة بختيار الذي كان معسكراً في اطراف الموصل، لكن سبكتكين لم ينفذ الاتفاق والخطة المتفق عليها، بل اطاع اوامر الوزير البويهي في بغداد بالعودة لنجدة عز الدولة بختيار الذي كان على وشك السقوط امام الحمدانيين لكن سبكتكين لم يصل في الوقت المناسب بل جاء وصوله متأخراً مما اجبر عز الدولة على قبول شروط الصلح الذي فرضه عليه الحمدانيون وعلى الرغم من قيام عز الدولة باحتلال الموصل بعد وصول نجدة سبكتكين الا ان المعاهدة تعد نصرا للحمدانيين، كما اطلق الخليفة لقب(عدة الدولة) على الامير ابي تغلب الحمداني لانجازاته في مقارعة البيزنطيين .

وفي سنة 363هـ/ 973-974م ، اعلن سبكتكين ثورته ضد عز الدولة بختيار واستنجد بالحمدانيين، فأنجده ابو تغلب بجيش يقوده اخوه ابو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة وامره بالتوقف في مدينة تكريت حتى يتجلي الموقف العسكري بين الاتراك بقيادة سبكتكين وبين الديلم بقيادة عز الدولة بختيار ثم دخل ابو تغلب الحمداني بغداد، فلما حسمت الحرب لصالح البويهيين رجع ابو تغلب الى الموصل واكتفى بقطع الطعام والعلف عن مدينة بغداد.

وفي سنة 367هـ/977م، دخل عضد الدولة بغداد بوصف انه احق من ابن اخيه بالعرش البويهي، فغادرها عز الدولة بختيار واستنجد بصهره ابي تغلب الحمداني، وقد اتفقا على محاربة عضد الدولة في بغداد وضرورة اخراجه منها، وجرت معركة قرب قصر الجص في سامراء كان النصر فيها لعضد الدولة ومقتل عز الدولة بختيار وبعد مقتل عز الدولة بختيار غادر ابو تغلب سامراء متوجها الى الموصل وقام بإخلاء المدينة من الميرة والعلف، لكن عضد الدولة احتاط للأمر واخذ كل ما يحتاج اليه فضلا عن الادلاء، فوصل عضد الدولة الموصل ودخلها، وارسل

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

السرايا لتعقب ابي تغلب الحمداني من مكان الى آخر جرت معارك استطاع ابو تغلب من ايقاع الهزائم بسرايا البويهين، لكنه لم يستطع الاستمرار بسبب الخيانة فتوجه الى الرملة في فلسطين حيث قتل فيها سنة 369هـ/979م، واخذت اخته جميلة سبية الى عضد الدولة الذي عرض عليها الزواج منه، فرفضت هذا الطلب وختمت حياتها بالانتحار بعد ان اذلها عضد الدولة البويهي.

وبعد مقتل ابي تغلب وانتحار اخته جميلة لم يبق من ابناء ناصر الدولة من يستطيع الوقوف بوجه البويهيين، حيث جرت محاولة جادة من قبل احد ابناء ناصر الدولة الحمداني وهو ابو طاهر ابراهيم وابو عبد الله الحسين سنة 379هـ/ 989م، وتخليص المدينة من السيطرة البويهية.

ب- امارة البطائح ودورها في مقاومة النفوذ البويهي

قبل الحديث عن المقاومة العربية للتسلط البويهي في البطائح، لابد من اعطاء تعريف للمنطقة ولماذا اطلق عليها البطائح، تعرف المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات بالبطائح، والبطائح جمع بطيحة وهي الارض المنخفضة التي يقف فيها الماء وقد حدثت هذهِ البطائح منذ وقت ليس بالقليل منذ اواخر ايام الدولة الساسانية عندما انشغل ملوكها بمشاكلهم السياسية والدينية، فأهملت السدود والجداول والقنوات اعقبها فترة الفتح الاسلامي حيث لم تكن الدولة الاسلامية متفرغة لمثل هذهِ الاعمال الزراعية، وجرت محاولات حثيثة لتجفيف المستنقعات واستصلاح الاراضي في اواخر العهد الاموي ، لكنها لم تكن كافية لاعادة الاراضي الى سابق عهدها وظل الحال هكذا حتى قامت ثورة الزنج في العصر العباسي وبينت للقادة العسكريين صعوبة السيطرة على مثل هذهِ المناطق، نظراً لوعورة الارض وكثرة الجداول والقنوات فيها، فضلاً عن كثافة الاشجار

والادغال وانتشار القصب والبردي، مما يعيق الحركات العسكرية النظامية فيها، فكيف اذا حدث تمرد في هذه المنطقة ونصبت الكمائن للقوات النظامية. بعد الاحتلال البويهي للعراق كانت تسكن منطقة البطيحة قبائل سليم، إذ ظهر في هذه الفترة قائد عربي يدعى عمران بن شاهين، الذي استطاع ان يوحد القبائل الموجودة مع قبيلة سليم وكون قوة عسكرية لا يستهان بها، مستفيدا بذلك من جغرافية المنطقة المعقدة التي تعيق اي تحرك عسكري يدخل اليها، وكان على عمران ان يؤمن حدوده الجنوبية مع البريديين، إذ فاوض ابي القاسم البريدي حاكم البصرة فاعترف به البريدي حاكما مستقلا على على منطقة الصليق والجامدة وبقية نواحي البطائح، وبعدها قام عمران بقطع الخطبة عن البويهيين ومنع ارسال الأموال اليهم سنة(338هـ/949م)، ولما علم معز الدولة البويهي بثورة عمران بن شاهين جهز حملة عسكرية أسند قيادتها الى وزيره أبي جعفر الصيمري، إذ دارت رحى حرب بين الجانبين، وعلى الرغم من رجحان قوة البويهيين الا ان عمران استمر في موقفه الصامد، إذ جدث ما يقوي موقف عمران بن شاهين وهو حدوث قلائل في مدينة شيراز عاصمة البويهيين، فطلب معز الدولة البويهي من وزير الصيمري وقف الحرب مع عمران والتوجه الى شيراز لإصلاح الاوضاع فيها، إذ استفاد عمران من هذه الاحداث والمتغيرات، فقام بتعزيز موقفه من جديد وأعاد تنظيم قواته العسكرية.

أن فشل محاولات البويهيين للسيطرة على منطقة البطائح في ذلك في السنوات 339هـ، و344هـ و 345هـ، و355هـ، و380هـ، قد اعطت وعززت من قوة عمران بن شاهين وامارته ضد الوجود البويهي حتى اعترف به الحكام البويهيين حاكما مستقلا وطلبوا مصاهرته، ابان الصراع الاسري البويهي ولكن عمران رفض كل هذه العروض. الا ان وفاة عمران بن شاهين سنة (369هـ/978م)قد أثرت على قوة امارة البطائح، إذ أدت الصراعات الأسرية في اضعاف الامارة، على الرغم من تولي ابن المظفر الحاجب لولاية البطائح سنة(367هـ/986م)، إذ ان بعد وفاته تولى حكم امارة البطائح، ابن اخته ابو الحسن علي بن نصر، فقام بالاعتراف بالبويهيين وتلقب بـ(مهذب الدولة).

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

ـ ثورة ابن واصل

لم يستقر الامر لمهذب الدولة، إذ اعلن احد قادته الثورة عليه وهو ابي العباس ابن واصل، ربما اعلن الثورة بسبب مهادنة مهذب الدولة للبويهيين، فسيطر ابي العباس على البطائح واخرج مهذب الدولة منها، ومما يؤكد ما ذهبنا اليه هو قيام بهاء الدولة البويهي بحملة عسكرية على البطائح لإعادة مهذب الدولة الى حكم البطائح، ولكن ابن واصل ألحق هزيمة منكرة بالجيش البويهي، ثم جهز البويهيين حملة عسكرية ثانية، أشرف على تجهيزها وتدريبها عميد الجيوش البويهي، إذ استطاعت هذه الحملة من اعادة مهذب الدولة الى امارة البطائح مرة أخرى، إذ جرت معارك عديدة مع ابن واصل وانتهت الى مقتله سنة(397هـ/1006م).

وبعد وفاة مهذب الدولة سنة(408هـ/1017م)، لم يستقر أمر البطائح بسبب نشوب الخلافات الاسرية، مما جعلتها عرضة لإطماع الاعداء. ففي سنة(418هـ/1027م) توجهت حملة عسكرية الى البطائح بقيادة الوزير البويهي ابي محمد بن نابهشاد، فسيطر على البطائح وابتز الناس وظلمهم وفرض الضرائب على الدور وألزمهم بدفعها. وقد ضجر الناس من سلوك البويهيين تجاههم فقسم منهم فرر الهجرة وترك البطائح وقسم آخر قرر المقاومة، إذ كان هنالك قائد طموح يسمى بالشرابي، حاول خداع الوزير البويهي وزين له ارسال الرجال والجيش الى مناطق مختلفة من البطائح لجمع الاموال، ثم انقض الشرابي هو وسكان البطائح على الوزير البويهي وقتلوه، ثم كسروا السدود وقطعوا الطرق، وظل الامر هكذا الى سنة(432هـ/1041م) الى أن جاء ابن العبراني واحتل البطائح سنة(433هـ/1042م)، فلجأ الشرابي الى دبيس بن مزيد الاسدي.

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

اولاً : ضعف النفوذ البويهي وانحلاله

أدت عوامل عديدة التعجيل بزوال النفوذ البويهي فكان ابرزها هو مقاومة الناس في العراق لهذا الوجود الاجنبي تمثل في مقاومة الخلافة العباسية ممثلة بشخص الخليفة نفسه حيث ذهب عدد من الخلفاء ضحية هذه المقاومة فضلا عن مقاومة القبائل العربية في الموصل والحلة والبطائح وبغداد والانبار كما ساعدت عوامل اخرى داخلية وخارجية في التعجيل بزوال النفوذ البويهي ومنها :

أ- العوامل الداخلية

1. الصراع الاسري : لقد كانت الاسرة البويهية بضمنها امراء موزعين على الاقاليم العباسية عاملاً مهما من عوامل الهدم داخل الدولة البويهية وانهيارها فقد تكونت التكتلات ومراكز قوى حول هؤلاء الامراء في بغداد وشيراز والري وغيرها من المناطق الاخرى، ولم يظهر هذا العامل بوضوح في الجيل الاول من البويهيين ولا في عهد عضد الدولة البويهي ذلك الحاكم البويهي الذي استطاع ان يوحد الدولة وان يجعل بغداد مقر له وبذلك اجتمع في بغداد الحاكم البويهي والخليفة العباسي لكن وفاة عضد الدولة كانت منعطفا كبيرا نحو التدهور والضعف في مسيرة البويهيين حيث اشتعلت الحروب بين الامراء من الجيل الثالث والرابع وفي اخر المطاف شهد اخر الامراء البويهيون ابو نصر الملك الرحيم (440-447هـ/ 1048-1055م)، منازعات مسلحة بين اخوته السبعة حول السيطرة على مدن العراق وفارس مما اتاح الفرصة للخليفة القائم بأمر الله الى السكوت او الرضا عن دخول طغرل بيك السلجوقي الى بغداد وانقاذها من الفوضى السياسية والادارية.

ان مبدأ تضامن الاسرة البويهية وولائها للأمير الاكبر الذي كان موجود في الجيل الاول والثاني وانحصار الادارة بين الاسرة البويهية على انها موروثة لهم، قد خف وبدأ بالزوال ولذلك نلاحظ بان اولاد باختيار البويهي حين قتلوا صمصام الدولة بن عضد الدولة في شيراز

ذكروه((بان هذه سنة سنها ابوك من قبل)) بوصف ان عضد الدولة قتل بختيار وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار تفكك الاسرة البويهية عامل من عوامل الانهيار

2- الجيش: يعد الجيش البويهي المؤلف من عنصرين اساسين هما الديالمة والاتراك، عاملا من عوامل اعتلاء البويهيين للسلطة ولكن في الوقت نفسه هو عاملا من عوامل سقوطهم وانهيارهم في مرحلة الضعف فقد اتبع معظم الامراء البويهيين في بغداد سياسة استغلالية انتهازية مع الجيش وفقا لمصالحهم فضلا عن عدم قيامهم بأحداث التوازن والمساواة في المعاملة بين افراد الجيش وكانوا يفضلون فئة على فئة أخرى مما ولد تذمرا كبيرا لدى الجيش الذي هو عماد قوتهم مما ادى الى خلق تمردات كثيرة في صفوفه بسبب تفضيل الامراء البويهيين الديلم على الترك او العكس، فبات الجيش في اواخر العهد البويهي غير منظم وغير منظبط، تحركه الطمع في الاموال والمصلحة الذاتية للقادة وتجاه هذه الحالة اضطر الامراء البويهيون المتأخرين الى اتباع اي وسيلة لإرضاء الجيش من اجل كسب ولائه حيث منحت لهم اقطاعات عسكرية زادت في تفاقم الوضع المالي والاقتصادي السيء في البلاد وقد سعى الامراء البويهيون في بداية الامر الى النظر في مصالح الجند واحتياجاتهم وبخاصة مايتعلق بدفع الرواتب الى مستحقيها في اوقاتها المحددة وربما قبل حلول موعد استلام الراتب بيوم او يومين وربما ثلاثة ايام وقد عنف عضد الدولة البويهي ناظر الخزانة لأنه دفع رواتب الجند في اليوم الاول من الشهر التالي فقال له (المصيبة بما لا تعلم ما في فعلك من الغلط اكثر منها فيما استعملته من التفريط الا تعلم انا اذن اطلقنا هؤلاء الغلمان مالهم وقد بقي في الشهر يوم، كان الفضل لنا عليهم واذا انقضى الشهلر واستهل الاخر حضر عند عارضهم فاذكروه فيعدهم ثم يحضرونه في اليوم الثاني فيعتذر اليهم ثم في الثالث فتبسط في اقتضائه ومطالبته السنتهم فتضيع المنة وتحصل الجرأة وتكون اذا الخسارة اقرب منها الى الربح) .

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

3- السياسة المذهبية : اتبع معظم الامراء البويهيين سياسة طائفية لدوافع سياسية معروفة(فرق تسد) فقد ساندوا طائفة ضد اخرى فوقعت فتن واضطرابات وحرائق سببت اضرار مادية جسيمة دفع ثمنها العراقيون كافة دون استثناء كما احيوا العديد من المراسيم التي سببت التصادم بين ابناء الشعب الواحد كما لم يتورع البويهيون من الاستنجاد بالفاطميون في أواخر عهدهم لانقاذهم من وضعهم السياسي المتردي ولكن المفاوضات لم تؤدي الى اي نتيجة تذكر حيث خذلهم الفاطميون ولم يعيروا لهم اي اهتمام .

4- سوء الاوضاع المالية والاقتصادية : لقد تدهور الاقتصاد في الدولة العباسية بسبب تدهور الحالة السياسية والادارية ، في القرنيين الثاني والثالث للهجرة وقد اتجهت الدولة العباسية في بغداد الى نوعين من الاجراءات هما المصادرات والضمانات واصبحت هذه عادة متبعة في العصر البويهي ايضا فكان كل وزير بويهي يعزل تصادر امواله المنقولة وغير المنقولة ولهذا سعى وزراء هذا العصر الى جباية اموال كثيرة وخزنها في مناطق متعددة حفاظا على مستقبلهم مما زاد في عنف السلطة البويهية فسعت الى تعذيب الوزراء بعد عزلهم وكذلك الكتاب ورؤساء الدوواوين للاقرار بما عندهم من الاموال وشملت هذه الاجراءات الوزراء معروفين مثل ابن العميد ولم تقتصر هذه المصادرات على المسؤالين فقط بل تعدهم الى عامة الناس .

5- اما سياسة التضمينات فكانت سببها عجز الخزينة عن دفع رواتب الجند والموظفين بالدرجة الاولى فسعت السلطة البويهية الى تضمين كبار القادة العسكريين اقاليم ومدن معينة مقابل مبلغ من المال يدفع سنويا للخزينة المركزية وعندما عجزت السلطة البويهية عن دفع مرتبات الجند منحتهم خراج مناطق او مدن معينة يتقاضاها القائد لقاء مرتبه ومرتبات الجند الذين يقودهم لكن هذه السياسة لم تعالج العجز المالي الا بصورة مؤقته حيث بدءت الادارة تدور في حلقة مفرغة وكلما زاد العجز المالي منحت الدولة اقطاعات جديدة للجند والقادة ومما زاد الطين بلة ان هؤلاء القادة العسكريين لم يعنوا باستصلاح الاراضي الزراعية او اروائها او الاعتناء بزراعتها بل كان

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

همهم الوحيد هو جباية الضريبة السنوية من سكانها وفلاحيها ولذلك ساءت حالة الاراضي وتردت زراعتها بمرور الزمن ولم تعد تدر نفس الحاصل الذي كانت تدره قبل تطبيق هذه السياسة ، ثم ان هؤلاء القادة العسكريين او الولاة المتنفذين لم يكونوا ليذهبوا الى الاقاليم التي عينتها الدولة لهم بل كانوا يرسلون مندوبين عنهم لجباية الخراج من هذه الاقاليم فضلا عن الافات الزراعية التي كانت تجتاح الاراضي الزراعية مثل اسراب الجراد والامراض التي كان يتعذر على الناس معالجتها وكذلك الزلزال .

6- السياسية الاقليمية المتوقعة : لقد انتهج البويهيين سياسة اقليمية ضيقة كانت سببا لعزلتهم عن ارجاء العالم الاسلامي وعن الخلافة العباسية فلقد بقيت الدولة البويهية دولة اقليمية شملت الري والجبال وفارس والاحواز والعراق كما لم يهتموا بفكرة الجهاد التي كانت تشد المسلمين الى السلطة في ذلك الوقت ففي الوقت الذي كان الحمدانيون يتحملون اعباء المجابه ضد البيزنطيين وكان السامانيون والغزنويون يتحملون اعباء الجهاد في بلاد الترك والهند عزل البويهيين انفسهم فنبذهم العالم الاسلامي او ان تلك السياسة دفعت الرأي العام الاسلامي الى كره البويهيين وحدى بالمؤرخين الى ذمهم ولم يكتفي البويهيون بذلك بل حاولوا اخضاع الحمدانيون لسيطرتهم المباشرة بدلا من ان يقدموا لهم المساعدة لانهم يحاربون دولة قد تمتد سيطرتها وتهددهم في عقر دارهم بل شغلوا الامارة الحمدانية صراعات معهم اشغلتهم عن دورهم الاساسي في مجابة الدولة البيزنطية التي اخذت تحتل اجزاء واسعة من منطقة الجزيرة الفراتية .

ب- العوامل الخارجية : يعد قيام الامارة الغزنوية من اهم العوامل التي ادت الى سقوط البويهيين فقد اسست هذه الامارة في مدينة غزنة سنة 351-543هـ/ 962-1148م، سواء بما قامت به هذه الامارة من فتوحات عززت مكانة الخليفة العباسي ام بالتنافس بعض مناطق النفوذ فقد تدخلت هذه الامارة في الصراع الدائر في خراسان فكانت نتيجتها هزيمة منكرة لقيتها القوات البويهية من قبل سبكتكين مؤسس الامارة الغزنوية وبعد وفاة سبكتكين تولى ابنه محمود الغزنوي

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

الحكم من بعده فوسع نفوذه في خراسان مما ولد احتكاك مع الدولة البويهية حيث سيطرة على سجستان وكرمان وبلاد الجبل وفي الوقت نفسه كانت الدولة السلجوقية في طور الظهور وبدءت تجد لها موطىء قدم في خراسان ومن ثم لتقضي على الوجود البويهي في خراسان والعراق.

المصادر:

1. **ابن الاثير، الكامل في التاريخ.**
2. **طارق فتحي سلطان، تاريخ الدولة الاسلامية في العصر العباسي(334هـ/945م ــ 656هـ/ 1258م)**
3. **امبنة بيطار، تاريخ العصر العباسي.**